

أني أحسب الآن، على الأقل، أن حقيقة المسألة هي كما يلي: هناك شكلان للموضوعية: الشكل الذي يعد طبيعياً عند رجل الصناعة البارح فحسب، والشكل الذي يتحقق بصورة تزداد باطراد من قبل الفنان الناضج. أما الأول فهو شكل ما سميته «مقطوعات المختارات» من شعر غنائي لـ (لوفليس) أو (سكيلنغ) أو لـ (كامبيون)، وهو شاعر أرق من كلا الآخرين. وأما الموضوعية الثانية فموضوعية الشاعر الذي هو قادر، بعيداً عن المعاناة الحادة والشخصية، على التعبير عن حقيقة عامة، مستقبياً كل خصوصية معاناته، ليتخذ منها رمزاً عاماً. والشيء الغريب أن يبتس الذي كان فناً عظيماً في النوع الأول، أصبح شاعراً عظيماً في الثاني. وليست المسألة أنه غداً رجلاً مختلفاً، ذلك لأن المرء يشعر باليقين، كما أشرت، أن المعاناة الحادة في الشباب قد تمت معاشتها بعمق—وبالفعل فإنه ما كان ليكتسب قط أي شيء من الحكمة التي تظهر في كتابته اللاحقة بغير هذه المعاناة السابقة. ولكن كان لا بد له أن ينتظر نضجاً آخر ليجد تعبيراً عن معاناة باكرة، وهذا ما يجعله، فيما أرى، شاعراً فريداً ومتمتعاً بصورة خاصة.

ولننظر في القصيدة الباكرة الموجودة في كل مجموعة مختارات (حين تشيخ وتشيب وتستغرق في النوم) أو (حلم بالموت) في المجلد ذاته (عام ١٨٩٣ م). إنها قصائد جميلة، ولكنها ليست إلا عمل صانع فنان لأن المرء لا يحس بالخصوصية حاضرة فيها، في ثنايا مجلد عام ١٩٠٤ م، تطور بادٍ في قصيدة جميلة جداً، هي (حماقة الرفاهية)، وفي (ابتلاء آدم)، فثمة شيء ما يخرج بسلام. وحين يأخذ في الحديث إنساناً متميزاً فهو آخذٌ في التعبير عن الإنسان. وهذا أشد وضوحاً بعد في قصيدة «السلام»، في مجلد عام ١٩١٠ م، ولكنه ليس بالثابت كل الثبوت حتى المجلد عام ١٩١٤ م، في رسالة الإهداء العنيفة والرهيبية، عن (المسؤوليات)، وذلك بالأبيات العظيمة:

ألاً فاغفر ذلك من أجل هوى عقيم،
على الرغم من أنني ناهزت التاسعة والأربعين....